شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الثالث

قال المؤلف رحمه الله:

ثانيًا: كيفية الطلب والتلقي

١٦- كيفية الطلب والتلقي ومراتبه:

لابد من التأصيل والتأسيس آخذًا في ذلك بالتدرج؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ فلابد أيها الطالب من مراعاة الأمور الآتية في كل فن تطلبه:

الشرح: التدرج سنة الحياة ومن سنن الحياة طلب العلم، فالتدرج فيه مهم لضبطه.

قال المؤلف رحمه الله:

(١) حفظ مختصر فيه.

الشرح: مختصرات المتون تمثل خير بداية في الطلب؛ لأنها تكتفي بالبدايات التي يحتاجها الطالب المبتدئ، كما أنها في الغالب تخلو من تفاصيل المسائل، ويكتفي مؤلفها بمجمل مهمات العلم.

وحفظها عن ظهر قلب أولى من مجرد فهمها؛ لأن في استظهارها استظهار للمسائل التي دلت عليها.

قال المؤلف رحمه الله:

(٢) ضبطه على شيخ متقن أمين.

الشرح: علماء كل فن من الفنون أقدر على الشرح من غيرهم؛ لأنهم قضوا أوقاتهم في تعلمه وفهمه، فهم أتقن من غيرهم.

والأمانة من صفات علماء الشريعة أصحاب العقيدة الصحيحة، الذين ساروا على نهج سلف الأمة.

قال المؤلف رحمه الله:

(٣) عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

معهد العلوم الشرعية ١٤٢٩هـ

الشرح: المطولات لا تتناسب مع البدء في طلب العلم، والطالب المبتدئ أحوج ما يكون إلى المختصرات التي تبين مجمل مقدمات العلم، فإذا أتقنها الطالب ينتقل إلى ما هو أطول من المختصرات.

والمختصرات تمثل الأصل الذي ينطلق منه المبتدئ في مسيرة ضبطه للعلم.

قال المؤلف رحمه الله:

(٤) لا تنتقل من مختصر إلى آخر فتضجر.

الشرح: التنقل من مختصر إلى آخر يشتت الطالب، والصبر على المختصر ومراجعته وضبطه أولى من الانتقال إلى غيره؛ لأن الغالب أن الخلل في الطالب وليس في المختصر.

وكل بداية في الطلب تواجه نوعاً من التشتت إذا لم يصبر عليها الطالب فقد يترك العلم كله.

قال المؤلف رحمه الله:

(٥) اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

الشرح: حضور الدروس العلمية يتطلب من الطالب التنبه لما يقوله الشيخ، وتسجيل المعلومات والفوائد التي تمر بالشرح، ويمر بالشروح فوائد نادرة لا يحظى بها إلا المنتبه لكلام الشيخ.

فمن المهم للطالب أن يحرص على إحضار ذهنه ومتابعة شيخه متابعة دقيقة، حتى لا تمر عليه فائدة أو ضابط علمي إلا وقد فهمه وسجله.

قال المؤلف رحمه الله:

(٦) جمع النفس للطلب والترقي فيه مع الاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ لما فوقه.

الشرح: ينبغي أن تجعل الدروس وحضورها من الأولويات في حياة الطالب، وألا يجعلها على هامش الوقت، إن تيسر حضورها حضر، وإن لم يتيسر لم يحضر؛ لأن الاهتمام بالتحصيل لا يؤتي ثماره ما لم يكن من نفس حريصة على العلم غاية الحرص.

وكثير ممن يحضرون الدروس لا ينتظمون فيها، وكأنها لتزجية الوقت، فلا يحصلون على علم ولا يستفيدون منها، فإذا تأملوا في سنوات طلبهم وجدوا أنها تخلو من الجد، وإذا تأملوا في حصيلتهم لم يجدوا شيئاً.

قال المؤلف رحمه الله:

* واعلم أن المقدم على ذلك كله هو حفظ القرآن الكريم ودوام مراجعته حتى يثبت، أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط.

الشرح: أهم ما يبدأ به في العلم كتاب الله تعالى، فتحفظ الطالبة ما شاء الله لها أن تحفظ وتحرص على ضبط ما حفظته ومراجعته وتحزيبه في كل يوم.

ولا يمر عليها يوم في حياتها إلا والقرآن مصاحب لها، وحتى لو حفظت القرآن وأتمت حفظه وضبطه فإنها تستمر في قراءته ومراجعته؛ لأنها يتفلت سريعاً، وقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»

وإذا أتمت القرآن فإنها تبدأ في المتون الأخرى، ولو اكتفت بحفظ شيء من القرآن فلا مانع من البدء بالمتون الأخرى، إذ لا يشترط حفظ القرآن كله، لكن لا ينبغي لها أن تبدأ بالطلب ولم تحفظ منه شيئاً.

قال المؤلف رحمه الله:

وإليك أيها الطالب نماذج للكتب التي ينبغي للطالب أن يتدرج عليها في رحلته لطلب العلم:

ففي توحيد العبادة ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي توحيد الأسماء والصفات: الواسطية والحموية والتدمرية ثلاثتها لابن تيمية ثم الطحاوية مع شرحها.

وفي النحو: الآجرومية ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل.

وفي الحديث: الأربعون النووية ثم عمدة الأحكام للمقدسي أو بلوغ المرام لابن حجر؛ فالدخول في الأمات الست.

وفي المصطلح: نخبة الفكر لابن حجر ثم ألفية العراقي.

وفي الفقه: آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستقنع للحجاوي رحمه الله تعالى أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبي، فالمغني للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى [١].

وفي الأصول: الورقات للجويني ثم روضة الناظر لابن قدامة.

وفي الفرائض: الرحبية للرحبي.

وفي السيرة: مختصرها لمحمد بن عبد الوهاب، ثم سيرة ابن هشام، وكذا زاد المعاد لابن القيم.

وفي لسان العرب: العناية بالأشعار كالمعلقات السبع والمرور على القاموس للفيروزآبادي..

الشرح: كلام المؤلف رحمه الله فيه أمور:

الأول: البداية بالمختصرات وليست المطولات، ثم الانتقال إلى المطولات إذا أتقن المختصرات.

الثاني: التدرج في قراءة المتون، فلا ينتقل الطالب من متن إلى آخر في نفس الفن إلا بعد أن ينتهي منه.

الثالث: ليس بالضرورة الأخذ بهذه الطريقة كلها على هذا التفصيل، فربما أن الطالب لا يريد التوسع في أحد الفنون فيكتفي بمختصر واحد فيه.

الرابع: لا يأخذ الطالب هذه العلوم في وقت واحد، فيكتفي في البداية بعلمين حتى إذا أتقن شيئاً منها ينتقل إلى غيرها.

---

(1) وهذا ويمكن لأصحاب المذهب الشافعي العودة إلى متن الغاية والتقريب لأبي شجاع ثم شرحه لابن قاسم أو كفاية الأخيار ثم فتح المعين لشرح قرة العين للمليباري ثم المنهاج للنووي وله عدة شروح منها السراج الوهاج والمغني وغيره.

قال المؤلف رحمه الله:

وهكذا في مراحل الطلب.

فهذه هي أصالة الطلب؛ وذلك من خلال دراسة المختصرات المعتمدة وحفظها؛ لا على الاعتماد على الفهم فحسب؛ فلا بد من الأمرين معًا، ولابد من خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر سيرًا على منهاج السلف.

الشرح: الجمع بين الحفظ والفهم للمتون أولى من مجرد الحفظ أو مجرد الفهم؛ لأن الحفظ يرتب له مع الفهم المسائل، ويعينه على استذكارها.

ثم يأتي بعده الفهم إن لم يتيسر الحفظ؛ لأن مجرد الحفظ لا يكفي في فهم المسائل.

قال المؤلف رحمه الله:

١٧- تلقي العلم على الأشياخ:

طريقة التلقين والتلقي عن الأسانيد والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف، وبطون الكتب هي الأصل في الطلب؛ فقد قيل: «من دخل في العلم وحده خرج وحده»؛ إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع؛ فلابد إذن لتعلمها من معلمها الحاذق، والدليل على ذلك أن آلاف التراجم والسير على مدار التاريخ مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك ومستكثر.

الشرح: حضور الدروس العلمية والتلقي عن المشايخ هو سبيل فهم العلم وإتقانه، والاكتفاء بالقراءة لا يفيد الطالب؛ لأن المتون تحتاج إلى مختص بها يبين غوامضها ويشرح مجملها.

ومتون العلوم ما وضعها مؤلفوها لكي تقرأ فقط؛ بل لكي تشرح، ولذا نجد أن علماء الأمة ثنوا ركبهم عند العلماء حتى أتقنوا العلوم.

وتكون القراءة بعد ذلك للاستزادة من العلم، كما أن الطالب إذا أتقن بعض العلوم كان قادراً على الاستقلال بقراءته وفهمه.

قال المؤلف رحمه الله:

ثالثًا: أدب الطالب مع شيخه

١٨- رعاية حرمة الشيخ:

ليكن شيخك ومعلمك محل إجلال منك وتقدير وتلطف، فتأدب في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، ولا تتقدم عليه بكلام أو مسير، أو إكثار الكلام عنده، أو المداخلة أثناء حديثه ودرسه بكلام منك أو إلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال؛ خاصة مع كثرة الناس؛ لئلا تفتر أنت ويمل هو، ولا تناده باسمه مجردًا بل قل يا شيخنا أو أستاذنا، ولا تناده من بعد من غير اضطرار، والتزم توقير المجلس وإظهار السرور من الدرس والإفادة به، وإذا بدا لك خطأ من الشيخ فلا يسقطه ذلك من عينيك؛ فإنه سبب لحرمانك من علمه، واحذر من امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل؛ فإن هذا يضجره، وإذا أردت الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك وأعلمه لأنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون الإخفاق.

الشرح: مجالس العلم ليست كغيرها من المجالس، فهي أفضل المجالس وأحبها إلى الله تعالى، وقد ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»

فينبغي للطالب أن يعرف للشيخ حقه وللمجالس أدبها، ومن الآداب:

* احترام الشيخ والتأدب معه في الجلوس والسؤال والاستماع.

* التأني في اختيار طريقة الكلام مع الشيخ، فيحسن طريقة السؤال والجواب إن سأله الشيخ، ويتأدب في مناداته لشيخه، فيناديه بما يليق من تسمية.

* عدم تتبع أخطاء الشيخ فإن ابن آدم خطاء، ومن حسن الطلب التماس الأعذار للشيخ.

* الانبساط وإظهار السرور في الدرس وعدم التضجر.

* ملازمة الشيخ وعدم ترك درسه والاستفادة منه، وعدم الملل من حضور درسه، فإن الاستمرار في الدرس سبب لتحصيل العلم، أما التشتت في الدروس فلا يمكن الطالب من علم.

قال المؤلف رحمه الله:

١٩- رأس مالك أيها الطالب من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله؛ فإذا أحببته فلا يدفعك حبه أن تقلده بصوت، أو نغمة أو مشية أو حركة أو هيئة، إلا إذا كانت مشيته تشبه مشية النبي ﷺ فلا بأس أن تقلده فيها فإن ذلك من الاتباع [1].

الشرح: العلماء هم القدوة لأنهم أعلم الناس بالشرع، وأعلمهم بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا فيحسن تقليد المشايخ بما هو من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، أما تقليدهم بطبائع أجسامهم فلا ينبغي كمن يقلد صوت شيخه أو هيئته.

مشية النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالقَصِيرِ شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، ضَخْمَ الرَّأْسِ، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ طَوِيلَ المِسْرُبَةِ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» صححه الألباني

يوم الإثنين ٢٣\ محرم \ ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٤\١٠\ ٢٠١٦م

(1) ش محمد بن صالح العثيمين ش٣.